المجاز

(تابع لما في الجزء الاول)

اما الغرض من الاستعارة فحاصل ما يؤخذ من كلامهم انهُ ينحصر في ثلاثة اوجه احدها المبالغة في وصف المشبَّه بالمعنى الذي اشترك فيهِ طرفا التشبيه كما في استعارة الاسد للرجل فانها تتضمن الحاقهُ بجنس الاسود حتى صار كانهُ واحدٌ منها وهي غاية ما يمكن بلوغهُ في الوصف بالشجاعة . والثاني الزيادة في إيضاح المعنى بنقلهِ من الصورة العقلية الى صورةٍ حسيّة كما في استعارة النطق للدلالة واثبات الجناح للسفر فان فيهما من ابراز الدلالة العقلية في صورة اللفظ المسموع وتمثيل السفر بصورة ذي الجناح ما يزيد المعنى قوةً وظهوراً . والثالث الاكثار من الالفاظ المترادفة تبسطاً في اللغة واسترسالاً في طرق التعبير وذلك كما تسمى الخوذة التي تلبس على الرأس بالبيضة وكما تسمى بالتريكة وهي بيضة النعام بعد ان يخرج منها الفرخ بجامع ما بين الطرفين من الشبه في الهيئة . وليس شيءٌ من ذلك يصلح لغرضنا في هذا المقام لان الوجهين الاولين يُقصد بهما المبالغة في تصوير المعنى لا التعبير عنهُ باللفظ الموضوع لهُ و بعبارةٍ اخرى تأدية المعنى بلفظٍ اقوى دلالةً من لفظهِ الوضعيّ فحاصل كليهما المفاوتة بين الفاظٍ موضوعة بعضها اقوى من بعض. والوجه الثالث مقصورٌ على تعدد الوضع في المعنى الواحد ففائدتهُ تكثير الالفاظ على غير زيادةٍ في مدلولاتها . ولا يخفى ان كل ذلك انما هو من غرض البيانيّ دون اللغويّ ومما يتوخاهُ الشاعر ومن في معناهُ لا الكاتب

الذي يتطلب لكل معنًى لفظهُ المخصوص به . وبقي هناك وجهٌ رابع لم نجد من تعرَّض لهُ وهو التذرُّع الى الوضع فيما لم يوضع لهُ لفظٌ كما مرَّ من تسمية البياض في العين بالكوكب فان هذا البياض لم يوضع لهُ اسمٌ في اللغة فاستعير لهُ لفظ الكوكب لما بين الطرفين من الشبه . وهذا هو المقصود من بحثنا في هذا الموضع لان غرضنا الوصول الى استنباط الفاظٍ للمعاني التي طرأت بعد الوضع الاول وهو احد طريقي العرب في توسيع لغتها بحيث ان ما لم يتهيأ لها تناولهُ من طريق الاشتقاق على ما تقدم ذكرهُ في البحث السابق اخذتهُ بالنقل من طريق المجاز وهو اشتقاقٌ معنويٌّ كما لا يخفى

اذا تقرر هذا عُلم منهُ ان الذي يصلح لما نحن فيهِ الاستعارة التحقيقية دون التخييلية والذي يصلح من الاولى ما كان وجه الشبه فيها يفيد تصوير المعنى بصورةٍ تمثلهُ للذهن على حقيقتهِ او ما يقرب منها لا ابرازهُ في صورةٍ تعظّمهُ في الخيال وبعبارةٍ اخرى ما كانت زيادة قوّتهِ في المشبه بهِ على المشبه من حيث الوضوح لا من حيث المقدار . وذلك كما في استعارة الكوكب للبياض في العين فان المقصود منها مجرَّد المناسبة في الشكل اذ كلٌّ منهما نقطةٌ بيضاء يحيط بها سواد الا ان هذه الهيئة في النجم اوضح واشهر . والمراد بالتخييلية فيما ذُكر ما كانت فائدتها مجرَّد التخييل مثل جناح السفر فان الجناح لم يشبَّه بهِ شيء وانما قُصد بهِ تخييل أن السفر مشبَّهٌ بالطائر فهو لا فائدة لهُ في نفسهِ ولكن فائدتهُ في غيرهِ كما لا يخفى . واما ان كان التخييل بشيء قد استُعير استعارةً تحقيقية مثل نطقت الحال فيكون بحسب فائدة التحقيقية فان افادت مجرَّد المبالغة مثل استعارة النطق للدلالة

لم تكن من غرضنا ايضاً والا اعتُبرت الفائدة في اللازم وحده وكان التخييل امراً خارجياً . واما الاستعارة بالكناية فلا كلام في انها لا تصلح لشيء مما نحن فيهِ لان المدار هنا على استنباط لفظٍ للمشبَّه وهو مذكورٌ فيها صريحاً لما علمت من ان الذي يُذكَر فيها هو المشبَّه لا المشبَّه بهِ فهي ليست من الاستعارة في شيء وانما يُطلَق عليها لفظ الاستعارة توسعاً.

ولما كان المقصود من هذا البحث وضع الفاظٍ لمعانٍ لم يوضع لها لفظٌ في اللغة بحيث تكون تلك الالفاظ عُرضةً للاستعمال كلما احتيج الى التعبير عن مدلولاتها لزم ولا بدّ ان تُلحَق باصل اللغة وتُستعمَل استعمال الالفاظ الموضوعة . ومتى صار اللفظ بهذه المنزلة واشتهر استعمالهُ بالمعنى المجازيّ عُدَّ حقيقةً عُرفيةً وتنزَّل من المعنى الحقيقيّ منزلة اللفظ المُشترَك واذ ذاك يكون احتياجهُ الى القرينة لمجرَّد التمييز بين معنًى ومعنًى كما تحتاج بقية المعاني معهُ لا لمنع ارادة المعنى الحقيقي كما يكون في سائر انواع المجاز . واكثر ما تجد هذا النوع من الالفاظ مما كان وجه الشبه فيهِ حسّياً لظهور العلاقة فيهِ وبداهة وجه الشبه بحيث يتبادر معناهُ المجازيّ الى الذهن ويزاحم فيهِ المعنى الحقيقي . وهو اما ان يكون الهيئة المشخِّصة لذات الشيء كما في استعارة الكوكب فيما ذُكر وكما يسمى غضروف الاذن بالمحارة اي الصدفة لمشابهتهِ لها في الشكل ويقال لهُ الصدفة ايضاً وكتسميتهم الهُنَيَّة الناشزة في مقدَّم الاذن بالوتد واللحمتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين والبياض الذي في اصول الاظفار بالهلال وداخل الفم بالغار وهو الكهف واستعمالهم المآء للسيف والمرآة ونحوهما بمعنى ما فيهما من البريق والصفآء وكما تسمى

العقدة في طرف السوط بالثمرة والخط المستطيل من الرمل بالحبل الى غير ذلك

واما ان يكون الصورة المشخّصة للجزء من الذات كما يسمّى طرف المرفق بالزُّجّ وهو الحديدة في طرف الرمح ومقدَّم السفينة بالجؤجؤ وهو الصدر وخصّهُ بعضهم بصدر الطائر وهو اتمّ شبهاً . وكقولهم ذُؤابة الرحل للجلدة المعلّقة على آخرتهِ وكذا ذؤابة النعل وهي ما اصاب الارض من المرسل على القدم وكلتاهما من الذؤابة بمعنى الناصية وكما يقال فم القربة لمنفتَحها وكذا فم البئر والوادي وغيرهما وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق ويد الرحى والفأس وساق الشجرة وإبط الوادي ولُعاب الخطيّ وغير ذلك وهو بابٌ واسع . وقد علمت ان المقصود من ذلك كلهِ التشبيه بالاشياء المذكورة لذاتها غير منظورٍ الى الذات التي هي اجزآءٌ لها على ما بيّناهُ في جناح الدار وان جاز ذلك في بعضها اتفاقاً . وذلك ان قولهم فم البئر مثلاً ليس المراد منهُ تشبيه البئر بالحيوان اذ لا وجه لهذا التشبيه وكذا قولهم يد الفأس وذؤابة النعل لا يراد منهُ تشبيه الفأس بالانسان والنعل بالرأس وهلم جرًّا بخلاف قولك لسان الحال ومتن الباطل وجناح السفر على ما قدّمنا بيانهُ

واما اللوازم المعنوية والمراد بها المصادر وما يُشتقّ منها فقد يكون وجه الشبه فيها حسيّاً كقولهم نبض البرق اذا لمع خفيفاً أُخذ من نبضان العِرق اذا تحرّك وضرب والجامع بينهما الهيئة المحسوسة من كليهما وان اختلفت الحاسّة . وكقولهم سبح الفرس اذا مدّ يديه في الجري تشبيهاً لهُ بفعل السابح في المآء . ورقصت السفينة اذا دارت في موضعٍ واحد لا تمضي من

تزنيق الطائر وهو ان يخفق بجناحيهِ ويرفرف ولا يطير. وخطر الرجل في مشيتهِ اذا رفع يديهِ ووضعهما من خطر ان البعير بذنبهِ اذا ضرب بهِ يميناً وشمالاً . ويقال ايضاً خطر بسيفهِ او رمحهِ اذا رفعهُ مرةً ووضعهُ اخرى وهو مجاز المجاز . وقد يكون عقلياً نحو سرد الحديث اذا اجاد سياقتهُ مأخوذٌ من سرد الدرع وهو نسجها واستنبط المعنى اي اظهرهُ من استنبط مآء البئر اذا استخرجهُ واغضى عن الذنب اي تغافل عنهُ وهو من اغضآء الجفن ووعيتُ الحديث اي عقلتهُ وحفظتهُ من وعى الشيء في الظرف اذا جمعهُ فيهِ وهو كثيرٌ في اللغة بل اكثر اللغة يرجع اليهِ

وكثيراً ما تجد في هذه الالفاظ ما يلتبس عليك فيهِ تمييز المعنى الحقيقي من المجازي كالجوالح لما تطاير من رؤوس القصب والبرديّ شبه القطن ولقِطَع الثلج المتهافتة من الجوّ وكالكمام والكمامة لغلاف النوْر ولما يُشدّ على فم البعير وغيرهِ لئلاّ يعضّ والدرع لما يُلبَس من الزرد ولثوب المرأة والعجاج للغبار وللدخان ومثلهُ العُثان والعُكاب . وكقولهم جاش البحر اذا اضطرب وجاشت القِدر اذا غلت وحذَق الخلُّ فاهُ اي حرزهُ والرباطُ يدَ الشاة اثر فيها وحشكت الناقة لبنها جمعتهُ والسحابة كثر مآؤها وبزل الدنَّ ثقبهُ ونابُ البعير طلع . والامثلة من كل ذلك في اللغة لا تُحصَى وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ للمستبصر (ستأتي البقية)

الحَسَر

بعث الينا حضرة الفاضل الدكتور ابرهيم الشدودي الطبيب البصري الشهير بالمقالة الآتية فآثرنا نشرها لما فيها من الفائدة قال اعزّهُ الله

اطّلعت في الجزء الاخير من مجلتكم الغرآء على ما اجبتم به احد السائلين عن سبب حدوث الحَسَر فاستحسنت ما جاء في جوابكم لانهُ موافقٌ تمام الموافقة لأحدث آراء العلماء في هذا الخصوص . غير ان ما قررتموهُ لا يخلو من ايجاز لانكم اقتصرتم فيهِ على القدر الذي يقتضيهِ سؤال السائل ولما كنت بناء على طلب بعض المصابين بهذه الآفة قد كتبت مقالةً في هذا المعنى على قصد ان انشرها في احدى الجرائد افادةً للجمهور وكان ما كتبتهُ فيها يتضمن تفصيلاً اطول مما ذكرتم رأيت ان ارسلها الى حضرتكم حتى اذا رأيتم فيها فائدةً يحسن نشرها تفضلتم باثباتها على صفحات مجلتكم ولو كان فيها اعادةٌ لبعض ما ذكرتموهُ ففي الاعادة افادة وهذا نص المقالة المذكورة

الحَسَر او قصر النظر هو علة في البصر لا تمكن المصاب بها رؤية المنظورات البعيدة بوضوح لان الاشعة المنبعثة عن تلك المنظورات والتي بها ترتسم صورها لا تتقاطع عند الشبكية كما يحصل في العين الصحيحة وانما تتقاطع قبل وصولها اليها ولا تصل الى الشبكية الا منفرجةً بعد التقاطع فترسم عليها صوراً غير واضحة . والسبب في ذلك استطالة قطر العين عن القياس الطبيعي لان متوسط هذا القطر في العين الصحيحة يتردد في الغالب بين ٢١ و٢٢ مليمتراً اما في العين الحسرآء فيزداد طولهُ حتى يبلغ احياناً ٢٣

ميليمتراً . واقوى اسباب هذه العلة على ما ذكرهُ العلامة فوكس استاذ امراض العين في كلية ڤينّا اربعة امور فصّلها في الكلام الآتي قال

من النادر ان يولد الصبيّ مصاباً بالحسر او بعبارةٍ اخرى بعينين مستطيلتين ولكن الغالب ان يحدث الحسر في سن الحداثة عند ما يكون الجسم في ابَّان نموّه . وقد اثبت الاستقرآء انهُ اكثر ما يعرض للذين يُتعبون ابصارهم بالمطالعة او التحديق في الاشيآء الدقيقة عن قرب مثل التلامذة المكبّين على الدرس والصناع المشتغلين بالصنائع الدقيقة كالخياطين والجوهريين وغيرهم . ولا يخفى ان هذا التحديق في المنظورات القريبة لا يتم الا مع تقارب المقلتين من جهة وتكيُّف البلورية من جهةٍ اخرى وهذان العاملان اي تقارب المقلتين وتكيف البلورية هما السبب في تمدد العين عند قسمها الخلفي . غير انهُ وان كان اجهاد العين في ادراك المرئيات الدقيقة عن قرب هو السبب في الحَسَر فليس كل الذين يجهدون اعينهم في التحديق عن قرب يصابون بهذه العلة ولكن يصاب بعضهم دون بعض فلا بدَّ اذاً من اسباب اخرى تضاف الى السبب المذكور . فمن الاسباب التي نعرفها اولا الاستعداد الطبيعي لقصر النظر لسبب تركيبٍ تشريحي خصوصي في المقلة كضعف الصُلبة وبعض شذوذٍ في عضلات المقلة والعصب البصري وغير ذلك . واذا عرفنا ان هذه الصفات التشريحية الخصوصية تكتسب بالوراثة اتضح لنا جلياً السبب في كون الحسر وراثياً في الغالب

ثانياً كثرة المطالعة والاكباب على الاعمال الدقيقة على نور ضعيف وضعف البصر الناشئ عن سحاباتٍ في القرنية او كدورة في البلورية او

خلل في الكروية الى غير ذلك مما يقتضي تقريب الشيء المنظور من العين

ثالثاً ضعف العضلتين الانسيتين وعدم اقتدارهما على تقريب احدى العينين من الاخرى عند النظر الى المرئيات القريبة فيضطرّ الشخص الى تقريب تلك المرئيات من عينهِ لان ضعف هاتين العضلتين يسبب تباعد العينين فلا يعود يمكن تقريب احداهما من الاخرى الا بالجهد وهذا الجهد في تقليص عضلات العين هو السبب الاكبر في زيادة استطالة المقلة وبالتالي في ازدياد الحسر لانهُ يستلزم ضغط العضلة الوحشية على المقلة. فاذا طالت مدة هذا الضغط تمددت العين وثبتت على هذا الشكل

رابعاً تقلص العضلة الهدبية المكيفة لشكل البلورية وهذا التقلص الناشئ عن التحديق في المرئيات الدقيقة عن قرب قد يجعل العين في حالةٍ شبيهة بالحسر ولكنهُ اذا طال سبّب الحسر الحقيقي . ويحدث ذلك بسبب الاشتغال بالاعمال الدقيقة يومياً ساعاتٍ طويلة متوالية تكون في خلالها العضلة الهدبية متقلصة . وهذه العضلة تكون قويةً جدًّا في الاحداث فمتى طال تقلصها لا تلبث ان تتشنج فلا يعودون يقدرون على بسطها فاذا نظروا الى الاشيآء البعيدة ظلت متوترة فتظهر لهم تلك الاشيآء كما تظهر لقصار النظر واذا كان الحسر بادئاً فيهم يزداد قصر نظرهم بسبب تقلص العضلة الهدبية . والذي يثبت وجود مثل هذا التشنج ما يظهر من الفرق بين فحص النظر بالعدسيات وفحصهِ بالأُفتلموسكوپ ففي الحالة الاولى يظهر قصر النظر شديداً لان العين تكون متقلصة عند ما تنظر الى الاشيآء ولو كانت بعيدة وفي الحالة الثانية يكف التقلص غالباً وتكون العين في حالتها الطبيعية .

ولاثبات التقلص يلزم قبل فحص العين ان يوضع فيها نقطة من محلول الاتروبين حتى تشلّ العضلة الهدبية ويبطل فعلها واذ ذاك تعود العين الى حالتها الطبيعية . انتهى

وهذه الاسباب كلها معقولة ما خلا السبب الرابع وهو تقلص العضلة المكيفة لشكل البلورية فان هذا التقلص لا يمكن ان يكون سبباً في استطالة العين التي هي السبب الوحيد في قصر النظر ولكن غاية ما يترتب عليهِ انهُ يبقي البلورية محدبةً زمناً بعد الكف عن التحديق في المرئيات الدقيقة عن قرب مما يسبب حسَراً وقتياً لا يلبث ان يزول . ثم انهُ لا يظهر من كلامهِ كيف يستحيل الحسر الكاذب الى حسر حقيقي ولا كيف يكون تقلص العضلة الهدبية سبباً في زيادة الحسر . والذي عليهِ جمهور العلمآء الرمديين ان ضغط العضلات التي تحيط بالعين ولا سيما الوحشيتين منها هو السبب في استطالة العين ولا سيما من الجهة الخلفية وسبب هذا الضغط هو تقلص العضلتين المستقيمتين الانسيتين عند تقارب المقلتين للنظر في المرئيات الدقيقة عن قرب وهذا هو السبب ايضاً في ازدياد الحسر . وبرهان ذلك ان الاحسر لا يحتاج الى تقليص العضلة الهدبية عند النظر الى هذه المرئيات لان شكل عينيهِ المستطيل يغنيهِ عن ذلك فان صور المرئيات القريبة ترتسم على شبكيتهِ بكل وضوح فلا يُعقَل والحالة هذه ان يكون تقلص العضلة الهدبية هو السبب في زيادة الحسر . واعتقاد بعض اطبآء العيون ان تقلص العضلة الهدبية يزيد الحسر حملهم على ان ينهوا قصار النظر عن استعمال الزجاجات المقعرة عند الاشتغال بالاعمال الدقيقة عن قرب حتى ان بعضهم

مثل جاقال تطرف في هذا الزعم حتى صار ينصح للمصابين بالحسر ان يستعملوا العدسيات المحدبة عند الاشتغال بالمطالعة او اي عمل دقيق . وهو رأي سقيم يدل على فساده الاستقرآء والمشاهدات فان العلامة دُنْدَرْس وهو اشهر من اشتغل بدآء الحسر اثبت بعد المشاهدات العديدة ان قصار النظر الذين يستعملون الزجاجات المقعرة للنظر عن بعد وعن قرب لم يزد عندهم قصر النظر بل بعكس ذلك خفّ او بقي على حالهِ وبخلافهم الذين لا يستعملون الزجاجات المذكورة فقد وجد ان الحسر ازداد فيهم . وجآء بعدهُ الرمديّ الشهير جيرُو تُولُون ثم العلاّمة فورْسْتر فأيدا رأيهُ واشارا بوجوب استعمال الزجاجات في حالي البعد والقرب لانهُ باستعمالها تصير عينا الاحسر كالاعين الصحيحة اذا نظرتا عن قرب تكيفت بلوريتهما واذا نظرتا عن بعدٍ لا تتكيف وبهذه الطريقة يُعمِل الاحسر عضلتهُ الهدبية الضامرة ويقويها

وقد نشر استاذنا العلامة شُفالرُوّ في شهر ستمبر الماضي مقالةً مشبعة في طريقة علاج الحسر اثبت فيها ما اوردناهُ وذكر مشاهدات كثيرة تدل على ان تقلص العضلة الهدبية لا يسبب الحسر ولا يزيدهُ وان انقباض عضلات العين هو السبب في استطالتها وان افضل الطرق في معالجة هذه الآفة ولا سيما عند الاحداث هي استعمال الزجاجات المقعرة التي تردّ العين الى مثل الحالة الطبيعية والاستمرار على استعمالها في البعد والقرب على حدٍّ سوآء

فالمتحصل من جميع ذلك اولاً ان الحسَر يكون في الغالب مكتسباً واكثر الناس تعرضاً لهُ هم الاحداث المكبُّون على المطالعة والصناع المشتغلون

بالاعمال الدقيقة ولا سيما من كان منهم في استعداد وراثي

ثانياً ان علة الحسر هي استطالة العين وهذه تحصل من ضغط العضلات عليها عند تقارب المقلتين للنظر في الاشيآء الدقيقة عن قرب والمثابرة على ذلك زمناً طويلاً

ثالثاً ان تقاصات العضلة الهدبية المكيفة للبلورية ليس لها دخل في اسباب قصر النظر ولا زيادته على الاطلاق

رابعاً ان افضل الطرق لعلاج قصر النظر استعمال الزجاجات المقعرة الموافقة لحالة الشخص في النظر عن بعد وعن قرب على حدٍ سوآء والله اعلم

نبوءة اميركانية

قرأنا في احدى المجلات العلمية الفرنسوية الفصل الآتي فآثرنا تعريبهُ فكاهةً للقرآء قالت

لا ريب ان كثيرًا من الناس يتسآءلون عما عسى ان تصير اليهِ حال الانسان في هذا القرن وقد اجاب عن ذلك احد علمآء الاميركان بما نروي بعضهُ في هذا الموضع لغرابتهِ قال

سيبلغ سكان اميركا من الآن الى نهاية هذا القرن خمس مئة مليون من النفوس وتمتدّ مساحة العمران فيها على هذه النسبة وستزداد قامة الاميركاني قيراطًا أو قيراطين لان بنيتهُ ستكون اصحّ بسبب ازدياد التحسين في علم الطب والقوانين الصحية وطرق التغذية والرياضة البدنية . ويكون معدَّل حياتهِ خمسين سنةً لا خمساً واربعين كما هو الحال اليوم لانهُ سيقضي حياتهُ في الضواحي ويتجنب العيش في المدن المزدحمة بالسكان ويكون الانتقال من الضاحية الى البلد ومن المنزل الى الحانوت في دقائق قليلة وبأجرٍ رخيص

ولتعديل حرارة المساكن يوزَّع الهوآء البارد والهوآء الحار من معامل مخصوصة ويصل الى المنازل في انابيب فيكون هناك حنفيات للهوآء البارد وغيرها للهوآء الحار على مثال حنفيات المآء والغاز المستعملة اليوم . اما المداخن فلا يبقى لها اثر لعدم وجود الدخان اذ ذاك

وستكون الوان الاطعمة معدَّةً للطلب في اماكن مخصوصة تجهَّز كما يجهز الخبز في المخابز غير ان الوان الطعام ترسل بصحافها في انابيب مفرَّغة من الهوآء وبعد تناول الطعام تُرَدّ الآنية لتُغسل . وسيقام لهذا العمل مطابخ عظيمة الاتساع تطبخ بالكهربآئية وتكون فيها آلات تعمل كل ما يُعمل اليوم باليد فالكهربآئية هي التي تطحن البن وتجدح البيض وتقطّع اللحم وتخردلهُ وتعصر العصارات وتغسل الصحاف وتنشفها الى غير ذلك وكل آنية الطبخ والطعام تنظَّف بموادّ كيماوية تستأصل كل ما يمكن ان يعلق بها من الجراثيم المرضية

وهذا الفحم الذي نراهُ يقلّ حيناً بعد حين يبطل استخدامهُ في الاعمال وتُستخرَج جميع القوى الكهربآئية الكامنة في المياه المتحركة العذبة والملحة فتستخدَم في الاعمال ويكون الحصول عليها ميسورًا لكل احد

ثم انهُ في المدن الكبرى لا تكون السكك مشغولةً بآلات النقل التي تعترض سير المارّة وتصمّ اسماعهم بقعقعتها ولكن هذه الآلات تجري تحت الارض أو في الجوّ اذ تُتخذ لها أنفاق واسعة تحت الشوارع يُطلق فيها النور والهوآء وتُنصب فوق الطرق اساطين عالية تركَّب عليها ارصفة تجري عليها آلات النقل والركوب من كل نوع وتكون عَجَلها مطوَّقة بالمطّاط

والبضائع التجارية تُرسل الى منازل الشرآء في انابيب مفرَّغة من الهوآء توزع رِزَم البياعات من كل حجم الى كل مسافة

ثم تكون سفن كهربآئية تقطع ما بين اميركا وانكلترا في مدة يومين وهي تجري فوق ظهور الامواج على عجَل اشبه بعجل الزلاّجات وهذه العجل تكون في منتهى الخفة وفي جوانبها السفلى جوبات يندفع منها الهوآء تحت السفينة فينشأ عن ذلك

مجرًى هوآئي بين السفينة والمـآء وبوجود هذه الطبقة من الهوآء مع دقة حروف العجل يقلّ الاحتكاك بين العجل والامواج الى آخر حدٍّ يمكن فلا يبقى ثمة ما يعاوق جريها وبلوغها اقصى ما في قوّة الآلات من السرعة

ورجل القرن العشرين يشاهد الحوادث التي تقع على مسافة الوفٍ من الاميال كأنهُ حاضرها فبينا يكون جالساً على كرسيّه يتمثل لهُ على ملآءةٍ واسعة ما يمكن ان يقع من حربٍ في الشرق أو تتويج ملكٍ في اوربا (...) وذلك بواسطة جهازٍ كهربآئي يرسم لهُ هذه المناظر ويكون معهُ جهازٌ تلفوني عظيم ينقل كل صوت من الاصوات المقارنة للحركة

وتجمع اطراف العالم تلفونات وتلغرافات هوآئية فيتكلمون بالتلفون من الصين وتؤخذ الصور الفوتغرافية بالتلغراف فاذا حدثت حربٌ في جهـة من الارض فلا تمضي ساعة حتى تنشر الجرائد صور اهمّ وقائعها والفوتغرافية تكون بالالوان

وستكون التربية العمومية مجانية للذكور والاناث فيبنى لهذا الغرض ابنية فسيحة وتلقى الدروس على اوجز وجه بحيث لا يضاع في تعلمها الا اقل ما يمكن من الزمن . واولاد الفقرآء لا يحملون طعاماً ولا يلتمسون لهم امكنةً يأوون اليها ولا ملابس ولا كتباً ويجولون حيثما شآءوا في القطُر الحديدية أو غيرها بدون اجر ويعين اطبـآء يزورون المدارس المجانية ويفحصون صحة الطلبة ويوزعون الادوية وكل ذلك بالمجّان

وكذلك الزراعة سيكون لها حظ كبير من الكمال فتطلق مجارٍ كهربآئية في الارض يعظم بها حجم البقول والفواكه وتهلك النبات المضرّ وحين ذاك تنقل السفن ذات الاجهزة المبرّدة جميع الفواكه اللذيذة من النواحي الحارّة التي يكون صيفها في اوان شتآئنا كأفريقيا واميركا الجنوبية وغيرها فتبلغ نواحينا في ايام قلائل ويأكل احفاد الاميركان في عيد الميلاد التوت الارضي (الفريز) الضخم كأمثال التفاح ويكون التفاح والسفرجل والكمثرى والدراقن والخوخ بلا نوى ويجنى التين في جميع اقسام الولايات المتحدة

وتكثر في الارض انواعٌ من النبات تتناول غذآءها من الهوآء ويصان النبات

من الجراثيم المضرة كما يصان الانسان من بعض الاوبئة ويكون زهر الورد كبيراً بحجم الكرنب ويكون منهُ اسود وازرق واخضر وكل نوع من الزهر يكون قابلاً لما يراد من اللون والرائحة

والادوية التي تعالج بها الامراض على انواعها لا يكون طريقها المعدة الا اذا كان المقصود بها مداواة المعدة نفسها وتبلّغ الى سائر الاعضآء بالحقن فاذا اريد معالجة الرئتين مثلاً أُدخل الدوآء اليهما رأساً من طريق الجلد واللحم ويُدخل الدوآء بواسطة مجارٍ كهربائية توصلهُ بدون ألم ويكون جسم الانسان شفافاً تحت المجهر فيبصر الطبيب ما في داخلهِ ويصوّر الاعضآء المألوفة بالفوتغرافية . انتهى

فما أحسن هذه الحال لكن الاسف كل الاسف انها لا تكون على عهدنا . . . .

جزيرة المرتينيك

ما برحت الانفجارات البركانية تتوالى على هذه الجزيرة بعد الانفجار الاول الذي حدث في ٨ مايو حتى عمّ الخراب في الجزيرة واصبح اكثر تلك الناحية قاعاً صفصفاً . وكان اشدّ تلكِ الانفجارات بعد التاريخ المذكور ماحدث في ٢٠ و٢٦ مايو وفي ٦ يونيو ثم في ٩ و٢٥ يوليو و٣٠ اوغسطس وآخر ما انبأ بهِ البرق منها ما حدث في ١٥ و١٦ اكتوبر وهو الذي دُمّرت بهِ جزيرة سان فنصان احدى جزر الانتيل الصغرى بجوار المرتينيك

وقد اخذ الباحثون يقارنون بين مواقيت هذه الانفجارات ومكان القمر والشمس من الارض فوجدوا انهُ في يوم الانفجار الاول كانت الاجرام الثلاثة على خطٍ واحد لانهُ كان يوم محاق القمر . ثم كان يوم ٦ يونيو مثلهُ ويوم ٩ يوليو بعد التوليد بثلاثة ايام فاستدلّوا من ذلك على ان للقمر والشمس

يداً في هذه الحوادث . وذلك ان المدّ في البحار يحدث بسبب جاذبية هذين الجرمين للارض وفعل القمر فيهِ اشدّ لقربهِ من الارض وهو كلما ازداد قرباً ازداد فعلهُ شدةً . وقد قاسوا الجاذبية المذكورة فوجدوا النسبة بين اضعفها واقواها كالنسبة بين ٢٥ و١١٥ وقد كانت على ما قدَّرهُ المسيو دِيرْك احد علمآء البلجيك في يوم ٨ مايو وهو يوم الانفجار العظيم الذي دمّر مدينة سّان پيّار بقوة ١٠٧ ثم كانت في ٣٠ اوغسطس وهو قبل المحاق باربعة ايام بقوة ١٠٤

وبنآءً عليهِ قدّر ما ستكون عليهِ القوة المذكورة في اوقات مختلفة من الاشهر التالية الى آخر السنة فوجد انها ستكون في ٢٠ ستمبر ١٠٢ وفي ١٦ اكتوبر ١٠٦ وفي ١٧ نوڤمبر ١٠٧ وفي ١٦ دسمبر ١٠٦ . قال واشدّ هذه المواعيد خطراً على تلك الناحية الميعاد الاخير لانهُ في ذلك اليوم يمرّ القمر فوق جزيرة المرتينيك واذ ذاك يكون من فلكهِ في اقرب نقطة من الارض ويكون موقعهُ منها في الاستقبال . وعليهِ فجزيرة المرتينيك فيما قدَّرهُ ستغوص بجملتها في البحر في ١٦ دسمبر فيكون آخر العهد بها . انتهى

رحلة الاب لويس شيخو

من رياق الى حماة

وردتنا من احد ادبآء حمص المقالة الآتية فاثبتناها بحروفها

نشرت مجلة المشرق في العدد التاسع عشر من هذه السنة وصف رحلةٍ حديثة لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي من رياق الى حماة ابدع كاتبها التحرير كل الابداع واودعها دُرَر الفوائد الفرائد احسن ايداع فجآءت كسائر مؤلفاتهِ

ومطبوعاتهِ شاهدةٌ لهُ بدقة الفكر وطول الباع

وقد تصفحت الرحلة المذكورة وتتبعت كلامهُ فيها حتى انتهى الى وصف مدينة حمص و « ذكر ما رآهُ فيها رأي العيان » فظهر لي ان الرجل فضلاً عن كونهِ من « فطاحل » العلماء المحققين ينبغي ان يُعدّ من اكابر المؤرخين المدققين وثقات الرواة الصادقين . فانهُ بدأ كلامهُ بتعداد الطوائف المؤلف منها سكان حمص فأغفل منها ذكر طائفة الانجيليين مع انهُ ذكر السريان الكاثوليك وهم اقلّ من الانجيليين عددًا ولا نظن ذلك الا سهوًا منهُ لانهُ لا يُعقل من مثلهِ ان يتوهم انهُ اذا اسقط ذكرهم من مقالتهِ فقد سقطوا من الوجود بتةً ولم يبقَ لهم ذكرٌ في العالمين

ثم انتقل الى الثناء على جماعتهِ الآباء اليسوعيين وعدّد ما لهم من الآثار الحميدة في هذه النواحي وما لراهبات قلبي يسوع ومريم من « المشروعات المبرورة » وانتقل بعد ذلك الى ذكر الطوائف غير الكاثوليكية فانحى عليهم بالطعن والتنديد ووصفهم بالخراف الضالّة وزعم انهم يتسكعون في ظلمة الضلال . . . ولا يخفى ما في هذا الكلام — ولاسيما وهو منشورٌ في مجلةٍ يقرأها عشراتٌ بل مئاتٌ من الناس — من سيئ التأثير في القلوب والقاء الشقاق والتنافر بين الطوائف الوطنية . فهذه احدى مآثر جماعتهِ بيننا وما لهم من الآثار الحميدة في كل بلادٍ نزلوها على ما عُلم من شأنهم وما يرمون اليهِ من الاغراض

واما « المشروعات المبرورة » التي يعزوها الى راهبات قلبي يسوع ومريم فلا نعلم منها الا السعي بين الطوائف لدسّ الفتن والعداء على نحو ما يفعل اساتذتهنَّ الآباء المحترمون وخطف البنات من احضان والديهنَّ على غير رضاهم ولا علمهم وحسبنا من ذلك ان نذكر اقرب هذه الحوادث عهدًا وهو اختطافهنَّ ابنتين ارثوذكسيتين في حمص منذ شهرين من الزمان مما ذاع امرهُ واصبح حديث الخاص والعام . وهنَّ انما يفعلنَ ذلك اقتداءً بحضرات الآباء و بتدبيرهم ومساعداتهم وحسبك بها « مشروعاتٍ مبرورة » من الفريقين « يلهج بالثناء عليها كل من لم تغشَ على ابصارهِ الاغراض » . . . . .

اما اغلاطهُ الوصفية والتاريخية في هذه المقالة فكثيرة نذكر منها قولهُ عند ذكر كنائس الارثوذكس في حمص « الكنيسة الثانيـة تدعى كنيسة التلّ » (كذا) ولا وجود لهذه التسمية عندنا انما هي من اختراعات حضرة الاب . . . فان الاسم الحقيقي لها كنيسة القديس جاورجيوس ولكن حضرة الاب المحقق رآها مبنيةً على تلّ فنسبها اليهِ

ثم قال « اما الكنيسة الثالثة فهي كنيسة القديس يوحنا المعمدان الكاتدرآئية» وهنا احبس عنان القلم تأدباً بازآء اشهر مؤرخ وجغرافي طالما نشر في مجلتهِ الفريدة الفصول الجغرافية البديعة والابحاث التاريخية الخطيرة ولكني اسألهُ ان يفتح (غير مأمور) مجلة السنة الاولى من مشرقهِ ويقرأ ما كتب في صفحة ٧٧٥ منها وهو قولهُ «وقد درست آثار هذه الكنيسة الجليلة » يعني كنيسة القديس يوحنا المعمدان بحمص ثم ينظر كيف يذكر هناك انها « قد درست » ويقول هنا انها هي الكنيسة « الكاتدرآئية » . على انهُ لو سأل اصغر الاولاد بحمص عن اسم الكنيسة الكاتدرآئية لاجابهُ انهـا كنيسة الاربعين شهيداً بل لو نظر نظرةً الى التاريخ المنقوش على باب هذه الكنيسة لعرف اسمها واستغنى بعد ذلك عن مراجعة ما ورد في المؤرخ بروكوبيوس (كذا) والسنكسارات الشرقية والغربية في تعليل انتمآء هذه الكنيسة الى القديس يوحنا المعمدان . . . .

ثم ذكر ان المنبر الخشبي والايقنسطاس في هذه الكنيسة هما من عمـل اهل حمص قبل ١٥٠ سنة وهذا القول غير صحيح (المعذرة من حضرة الاب . . .) فانهما من صنع اهل حمص في اواسط القرن التاسع عشر اي منذ نحو ٥٥ سنة لا منذ ١٥٠ سنة ولا يزال احد صانعيهما حيًّا يُرزَق وهو الخواجا نعمة الله القضماني فيكون الفرق بين الحقيقة وقول حضرة الاب نحو قرنٍ من الزمان فقط . . . .

ومثل هذا زعمهُ ان السنكسار الخطي المحفوظ في هذه الكنيسة كُتب في القرن السادس عشر وهو خطأٌ وهاك ما جآء في آخرهِ بالحرف . « وكان النجاز من نساخة هذا السنكسار . . نهار السبت المبـارك ثاني عشر شهر ايلول . . سنة الف وستمائة

واثنين وتسعين لتجسد سيدنا يسوع المسيح .. وهو يكون وقفاً موءبداً .. على كنيسة القديسين الاربعين شهيداً داخل مدينة حمص » . وقد استفيد من هذه الكتابة امران احدهما زيادة برهان على كون هذه الكنيسة مبنية على اسم الشهداء الاربعين كما ذكرناهُ لا على اسم القديس يوحنا المعمدان كما زعم حضرة الاب . والثاني ان هذا الكتاب قد خطّ في اواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٢) لا في القرن السادس عشر كما كتب حضرة الاب المدقق مما لا يكون الفرق بينهُ وبين الحقيقة اقل من مئة سنةٍ ايضاً . فيا لهُ من عالمٍ محقق وموءرخٍ ثقة واننا لنغبط قرآء مجلتهِ على ما يتناولون منها من الفوائد الراهنة والعلم الصحيح

واغرب ما جآء من آياتهِ في وصف هذه الكنيسة قولهُ اخيراً « وقد لحظنا بين صوَر هذه الكنيسة صورة بديعة مرسومة على الخشب بألوان تمثل الانفس المطهرية في لهيب النار وفوقها المسيح لذكرهِ السجود يدعوها الى الراحة الابدية » . وهو لعمر الحقّ من مضحكات الكلام ومن الخلط الذي لا يبلغهُ النائم والمحموم ومتى كان الروم الارثوذكس يقولون بالمطهر أو يسلمون بوجودهِ حتى يصوّروهُ في كنائسهم . وقد اعدنا النظر ودققنا في الصور الموجودة في هذه الكنيسة لعلنا ندرك بعد طول التأمل ما ادركهُ حضرة الاب بتلك « اللحظة » فلم نرَ اقرب الى وصفهِ من ايقونة الاربعين شهيداً المبنية الكنيسة على اسمهم فانهـا مرسومة على الخشب بألوان جميلة تمثل القديسين غرقى في مياه البحيرة ويسوع المسيح لذكرهِ السجود فوقهم يكللهم بأكاليل الظفر ويدعوهم الى الراحة الابدية . فلم يفرق حضرة الاب العلاّمة بين صورة الاربعين شهيداً وصورة الانفس المطهرية وبين المآء ولهيب النار . . . .

اما اغلاطهُ اللغوية والنحوية في هذه المقالة مثل قولهِ فهويت العين «روءياهم» وقولهِ ضيعة « صغرى » وقولهِ « اقلعنا » من رياق في « قطارات » (ولعلّ هناك اختراعاً جديداً لتسيير قُطُرات السكك الحديدية بالقلوع) وقولهِ في وسط هذه البقعة « البطحآء » الى غير ذلك فما نغض الطرف عنهُ اذ ليس من غرضنا الخوض فيهِ على اننا لو تفرغنا لمثل هذا في كلام حضرة الاب لزمنا ان نوءلف فيهِ المجلدات

فنمسك الآن عند هذا القدر ولعل لنا كرّةً اخرى الى هذا المجال ان شآء الله

وصايا صحية

نشر بعض نُطُس الاطبآء الوصايا الآتية

اول شرائط الصحة النظافة

افضل ما حُفظت بهِ الصحة المحافظة على حرارة الجسم والقصد في المعيشة والعمل المعتدل مع الراحة بعدهُ

اذا نمت فلا تقبض جسمك ولكن ليكن منبسطاً بقدر ما يستطاع ولا تكن مخدّتك مفرطة العلوّ

اذا جلست او نمت فلا تكن رجلاك معرّضتين للبرد ولكن ينبغي ان تحافظ على دفئهما فان كثيراً من الامراض سببهُ برد الرجلين

لا تأكل الخبز السخن فانهُ يثقل على المعدة

ليكن طعامك مؤلفاً من اللحم والنبات لكن يُستحَبّ ان يكون النبات هو الغالب

ليكن طعامك مرتباً على اوقات مطَّردة ولا ينبغي ان تؤخر العشآء فان الزيادة في تأخيرهِ مضرّةٌ كثيراً

المآء البائت في المساكن لا يصلح للشرب فلا يكن شربك من مآء قد استُقي من الامس

احترز من الغازات المؤذية التي تنبعث من الاماكن الرطبة

اياك والوقوف في مجرى الهوآء

اثبت بعض اكابر الاطبآء ان اكثر من ثلاثين الف نفس في السنة ينتحرون بشدّة ضغط المشدّ على الوسط وتحزيق عصائب الجوارب وشريط الاحذية

لا يتمتع بالصحة الجيدة الا من يقوم باكراً فوفّر مصباحك وباكر في النوم ولا تشرق الشمس الا وانت في عملك

لا تغفل عن ان تأخذ كاس شرابك حين تنهض من سريرك ولكن ليكن هذا الشراب كأساً من المآء البارد وكل شرابٍ سواهُ فهو سمّ

استقبل الحوادث بالسكينة والصبر فان الغضب والاكتئاب يلدان ثلاثة ارباع الوفيات

متفرقات

كنيسة من شجرة واحدة — بُنيت كنيسة في سنتا كلارا من كاليفُرنيا أُخذت جميع لوازمها الخشبية من شجرةٍ واحدة وقياس الكنيسة يبلغ ٢١ متراً طولاً فيما يزيد على ٩ امتارٍ عرضاً وقد بقي بعد تمام بنآئها شيءٌ من الخشب لم يُستعمَل

مكتشفات اثرية — جآء في احدى المجلات الانكليزية ان باحثي الالمان اكتشفوا من عهدٍ قريب في بقايا مدينة بابل في المكان المسمى نيشان الأُواد[1] ٤٠٠ لوح من الآجرّ كثيرٌ منها يشتمل على مباحث في

(١) كذا وجدنا هذا الاسم فاثبتناهُ بصورتهِ ونحن نرجو المعذرة من بعض

آداب اللغة يُظَنّ انها مؤلفات مدرسية في اللغة البابلية ومنها ما هي معجمات في اللغة نفسها وهي ولا ريب بمنزلةٍ من الاهمية عند علماء اللغات . ووجدوا منها نشيداً كان يُنشَد في الاحتفالات الدينية تسبيحاً للاله مرودخ معبود البابليين وقد اكتشفوا ايضاً هيكل هذا الاله وهيكل آدار اله الطبّ.

ملحة جزويتية

زعم الاب شيخو ان الاب سكّي اليسوعي كان يرصد الشمس بالمجهر (المكرسكوب)[1] فما ندري اي هذين الابوين اعجب اذاك الذي كان يستنزل الشمس فيضعها تحت مجهره ام هذا الذي روى هذا الخبر الغريب . .

اسئلة واجوبتها

القاهرة — بينما كنت اطالع في كتاب القواعد الجلية في علم العربية تأليف حضرة الاب جبرائيل ادّة مدير الدروس العربية في مدرسة الآباء الجزويت بالقاهرة وجدت لهُ في آخر الكتاب شبه معجمٍ مختصر ذكر فيهِ تفسير الالفاظ الغريبة الواردة في الامثلة الصرفية والنحوية وهي اول مرةٍ عرفت فيها ان حضرة الاب من علماء اللغة . وبعد ما تصفحت شيئاً من هذا المعجم عثرت على اشياء اشكلت عليّ صحتها فرأيت ان استعين على جلآئها بضيائكم الزاهر راجياً ان تمنّوا عليّ بذلك ولكم الفضل

فلاسفة هذا العصر فانهُ لم يسعنا السفر الى بابل لتتحقق صحة لفظهِ من بدو تلك الناحية ورهبانها . . . . .

(١) مشرق السنة الخامسة صفحة ٣٧٩

فمن ذلك قولهُ في صفحة ١٦٤ « الزميل السير باين » اورد هذه اللفظة في باب الزاي وكنت قد رأيتها مراراً في كلام من يوثق بهِ مكتوبةً بالذال فهل هما لغتان أم احد الوجهين غلط

وفي الصفحة نفسها « الصدغ ما بين لحظ العين الى اصل الاذن » ماذا اراد بلحظ العين هنا

وفي صفحة ١٦٧ « المِئَر جمع الميرة اي الطعام » فجآء الجمع مهموزاً والمفرد غير مهموز فكيف ذلك . ارجو الجواب على هذه المسائل ولديَّ مسائل اخرى سآتيكم بها اذا سمحتم بالجواب على هذه وانا لكم من الشاكرين

عبده داود

الجواب — اما الزميل بالزاي فلا يجيء بالمعنى الذي ذكرهُ وانما هو معنى الذميل بالذال كما ذكرتم واما الزميل فمعناهُ الرديف وأحد الرجلين يعملان على بعيرين كلٌّ منهما زميل الآخر

واما قولهُ الصدغ ما بين لحظ العين الى آخره فلا معنى للَّحظ هنا وصوابهُ لحاظ العين وهو طرفها مما يلي الاذن

واما جعلهُ المئر بالهمز جمعاً للميرة بالياء فهو غلطٌ في اللفظ والمعنى جميعاً اما في اللفظ فلأن اليآء لا وجه لقلبها همزةً في مثل هذا اذ لا يقال في جمع قيمة مثلاً قِئَم واما في المعنى فلان الميرة معناها الطعام والمئر جمع مِئرة بالهمزة ومعناها الحقد والعداوة والنميمة وشتان بين الطعام وهذه المعاني وان كانت منزلتها من بعض الناس منزلة الطعام . . . . . .

آثار ادبيّة

حياتنا التناسلية — انتهت الينا نسخةٌ من كتابٍ بهذا العنوان تأليف حضرة الفاضل الدكتور سعيد ابي جمرة نزيل اميركا . ولا حاجة الى تعريف ما يتضمنهُ هذا التأليف فان عنوانهُ يدل على موضوعهِ وهو من المواضيع الخطيرة التي قلّ من كتب فيها في هذه البلاد واخرجها من الاسفار الطبيّة الى سفرٍ تتداولهُ ايدي العامّة . وقد استقرى المؤلّف فيهِ كل ما يهمّ ذكرهُ وتفيد معرفتهُ من متعلقات الموضوع المشار اليهِ وشرحهُ شرحاً بيّناً على نحو ما يلقّنهُ دارسو التشريح وعلم منافع الاعضآء مع ذكر كل معنًى بلفظهِ الصريح دون توريةٍ ولا كناية . وهذا ولا جرم مما لا بُدّ منهُ لتوفية حق الفائدة المقصودة من الكتاب بحيث يكون الكاتب مطلق قياد القلم فيما يقرّرهُ من المعاني ويكون المطالع على بيّنةٍ مما يقرأ دون لبسٍ ولا جمجمة حتى يتسنى لهُ ان يكون طبيب نفسهِ فيما يعزّ عليهِ ان يواجه الطبيب فيهِ ونذيرها من امورٍ قد يكونُ غافلاً عنها لجهلهِ عواقبها

فنثني على حضرة المؤلفِ بما هو اهلهُ ونرجو لكتابهِ هذا مزيد الرواج وهو يباع في مكتبة الهلال وسائر مكاتب القاهرة وثمن النسخة منهُ اثنا عشر غرشاً مصريّاً

فكاهات

الزوج الخيالي (1)

لكتاب الانكليز في الرحلات والاسفار اقاصيص غريبة ونوادر عجيبة يتوق المرء الى مطالعتها والتفكه بتلاوتها ونحن الآن موردون شيئًا من هذا القبيل نقلاً عن كتاب وضعهُ المؤلف الشهير وشنجتون ارفنج الاميركاني وضمنهُ ما شاهدهُ اثناء رحلتهِ في البلاد الانكليزية

حدَّث الراوي قال شخصت مرةً الى بلاد الفلمنك وبينما انا اتجول في انحآئها متنقلاً من بلدةٍ الى اخرى مررت بقرية صغيرة ذات مناظر جميلة فألقيت فيها عصا الترحال وكان قد اقبل المسآء فقصدت فندقها لاستريح من وعثآء السفر واتناول شيئًا اسد بهِ رمقي . فلما دخلت ردهة الطعام لم اجد فيها احدًا لان جميع المسافرين كانوا قد فرغوا من العشآء وذهب كلٌّ الى مضجعهِ فجلست ولا انيس لي في احدى زوايا الردهة وكان ينيرها مصباح ضئيل . ولما فرغت من الطعام شعرت بأن الليل سيطول عليَّ في تلك الوحدة فناديت صاحب الفندق وطلبت منهُ ان يأتيني بشيء من الكتب والجرائد اتعلل بهِ فأحضر لي توراةً باللغة الهولندية وتقويمًا وعددًا من الجرائد الفرنسوية القديمة العهد . وبينما كنت اتصفح احداها وانا بين يقظٍ ونائم فلا اجد فيها الا اخبارًا ساقطة وانتقادات تافهة كانت تطرق اذني من حين الى حين اصوات ضحك يظهر انها كانت صادرة من جهة المطبخ . وكل من ساح في البلاد يعلم كم يلذ للمسافرين الذين من الطبقة الوسطى أو السفلى الاجتماع في مطبخ الفندق لا سيا في فصل الشتآء حيث يستحب الدفء عند المسآء . فألقيت في

---

(1) ملخصة عن الانكليزية بقلم زكي افندي حاتم من موظفي نظارة الاشغال العمومية بمصر

الحال الجريدة من يدي واتجهت في طريق المطبخ لانظر ذلك الجمع الذي علا ضجيج سرورهِ وضحكهِ. فرأيت فيهِ بعضاً من المسافرين الذين قدموا قبلي بساعات وغيرهم من المقيمين في الفندق وكانوا جالسين الى موقدٍ عظيم فوقهُ عدةٌ من آنية المطبخ وكلها نظيفة لامعة وفي وسطها ابريق شاي كبير جداً من النحاس الاصفر وفي اعلى الغرفة قنديل ينبعث منهُ نور ساطع يضيء على الجماعة فتظهر للعيان هيئة الافراد وبعضها من الغرابة بمكان . وكان في ذلك الجمع فتاةٌ هولندية حسنآء يزين آذانها قرطان من الذهب وفي عنقها عقد يتدلى منهُ قلب من الذهب ايضاً وهي التي ترأس الحفلة . وكان اكثر الحضور يدخنون في غلايين وكثيرون منهم يتناولون شراباً طيباً . وقد لاحظت ان السبب في سرورهم هذا ما يقصهُ عليهم من نوادرهِ الغرامية شابٌ فرنسوي اسمر اللون نحيف الجسم كبير الشاربين وفي نهاية كل حكاية يستغرق الجميع في الضحك . فلم أرَ بداً من الانضمام اليهم لاني لم اجد طريقة اخرى لقضآء تلك الليلة المملة فجلست بالقرب من الموقد لسماع احاديث المسافرين التي كان بعضها يفوق حد التصور واغلبها مما تضيق لهُ النفس لسخافتهِ . ولقد نسيت اغلب تلك الاقاصيص ما عدا واحدةً منها رسخت في ذهني وسأوردها هنا . غير اني اخشى ان يكون ما وجدتهُ فيها من الطلاوة ناشئاً عن طريقة سردها وما اتصف بهِ راويها من حسن الالقآء وهو رجل ممتلئ الجسم طاعن في السن من اهالي سويسرا يظهر عليهِ انهُ ساح طويلاً فرأى كثيراً . وكان مرتدياً سترةً خضرآء ومتنطقاً بزنار عريض يتلوهُ لباسٌ تزينهُ ازرارٌ عديدة . وهو اسمر الوجه عريضهُ غليظ الذقن اقنى الانف برّاق العينين خفيف الشعر على رأسهِ قبعة عتيقة من القطيفة الخضرآء تميل لاصقةً على الجانب . وكان قدوم المسافرين يقطع عليهِ الكلام تارةً وما يبديهِ السامعون من الملاحظات يقطعهُ عليهِ تارةً اخرى وقد يقف فجأةً عن الحديث لحشو غليونهِ وهي فرصةٌ تمكنهُ من النظر الى خادمة المطبخ بعينٍ ملؤها الخبث ويعقب ذلك مزاحٌ حشوهُ المكر . ولقد كنت اودّ ان يرى القارئ الكريم محدّثي هذا وهو غارق في كرسيهِ الكبير ومتكئ على احدى ذراعيهِ وبيدهِ غليون مضفور

الشكل محلى بعروق الفضة واشرطة الحرير وهو يقص الحكاية التالية وهي هذه

كان في قديم الزمان قصرٌ فخيم قائم على قمة جبلٍ من جبال لودنولد وهي ناحية مقفرة من بلاد جرمانيا العليا وكان يسكن ذلك القصر رجلٌ من الاشراف يدعى البارون فون لندشورت. وقد طمس الدهر آثارهُ وغشيتهُ الاشجار والادغال البرية فعفّت معالمهُ ولم يبقَ منهُ سوى البرج المطلّ الذي لم يزل الى الآن رافعاً رأسهُ الى العلآء وهو يشرف على سهل قريب وكأنهُ ينازل الدهر ويصارع الايام كما كان ينازلها صاحبهُ . وكان ذلك البارون آخر خلفٍ لأُسرةٍ كريمة الحسب عريقة النسب ورث عنها مع المال والعقار كل ما اتصف بهِ اجدادهُ من الكبريآء والعظمة. على ان الحروب التي كان اسلافهُ يثيرونها اضاعت معظم املاك اسرتهِ الا ان البارون كان لا يألو جهدًا في القيام بمظاهر الرفعة والجاه التي كان عليها اجدادهُ. وكان السلم حين ذاك ناشرًا اعلامهُ ولذلك هجر شرفآء الالمان قصورهم القديمة التي لم تعد تليق بمقامهم السامي لانها كانت اشبه بأعشاش النسور فوق اعالي الجبال وشادوا لانفسهم صروحاً فخيمة في الاودية والسهول . بيد ان البارون كان لا يزال متحصناً في قلعتهِ الصغيرة المنيعة ولم يكن لهُ همٌّ سوى الاطلاع على اخبار الحروب والمنازعات التي كان اجدادهُ يديرون رحاها بين الاسر الشريفة ولذلك كان مبتعدًا عن بعض جيرانهِ الاقربين بسبب مخاصمات كانت قد حدثت بين اجدادهِ واجدادهم

ولم يُرزَق البارون سوى ابنةٍ وحيدة الا انها كانت درة يتيمة وقد قام بتهذيبها وتثقيفها عمتان لها كانتا لا تزالان غير متزوجتين وقد قضتا شطرًا من شبيبتهما في بلاط احد امرآء الالمان فكانتا عارفتين بجميع الآداب اللازمة لتربية سيدة شريفة وقد اقتبست ابنة البارون من تعاليمهما ما جعلها في درجةٍ من الكمال لا يجاريها فيها احد. ومع ان البارون لم يرزق من الاولاد سوى هذه الابنة فانهُ كان واسع الرحاب يضم ناديهِ كثيرين من الاصحاب والاقربآء المعوزين فكأن العناية بخلت عليهِ بكثرة النسل واعاضتهُ ما يشتهيهِ من الاهل والصحب. وكان اغلب اولئك في ضيق من العيش فكانوا يغتنمون الفرص كلما سنحت ويفدون جموعاً ووحداناً الى القصر

فيحيون دارس اطلاله ويعيدون اليه سابق عزهِ وجلالهِ من فضل البارون ووافر كرمهِ . فاذا حلت الاعياد جآءوه بقلوب فرحة وثغور بواسم فيتم الاحتفال على ايديهم ولا يدّخر شيئاً لارضآئهم فيأكلون مريئاً ويشربون هنيئاً وهم يرون انهُ لا شيء في الدنيا ابهج واحلى من تلك الاجتماعات الاهلية التي يودّعونها سنةً ويستقبلونها اخرى . وكان البارون قصير القامة الا انهُ كان كبير الهمة كريم النفس ممتلئاً غبطةً لعلمهِ انهُ اعظم رجل في ذلك العالم الصغير الذي يحيط بهِ . وكان شديد الولع بسرد الاقاصيص عن اولئك الفرسان الصناديد الذين عاشوا في الازمان السالفة وكانت صورهم معلقة على الجدران وهي تنظر بوجوه عابسة . وكان لا يجد اكثر اصغآء لحديثهِ من الذين كانوا يأكلون على نفقتهِ وكان شديد الميل الى سماع الحوادث الغريبة المدهشة يعتقد بجميع الروايات الخارجة عن حدود التصور والتي لا يخلو منها جبل أو وادٍ ببلاد جرمانيا . وكان اعتقاد ضيوفهِ في تلك الحكايات يفوق اعتقادهُ فانهم كانوا يصيخون لتلك الخرافات وكلهم آذان واعية ولا يقصرون عن ابدآء استغرابهم ولو أُعيدت الحكاية مئة مرة . فهكذا كان يقضي البارون فون لندشورت ايامهُ وكان اذا تكلم على المائدة عُدَّ كلامهُ وحياً منزلاً واذا ذهب لتفقد اراضيهِ كان ملكاً معظماً ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يعتقد في نفسهِ انهُ احكم رجل على وجه البسيطة واعتقادهُ هذا كان يجعلهُ اسعد الناس

قال الراوي وحدث في ابان ذلك الوقت اجتماع عظيم في القصر حضرهُ جميع الاهل والاقارب للاهتمام بمسألة من اهمّ المسائل الا وهي اعداد المعدّات اللازمة لاستقبال خطيب ابنة البارون . وكانت قد سبقت المفاوضات بين ابي الفتاة وامير طاعن في السن من اشراف بافاريا في شأن قران ولديهما وقد تمت رسوم الخطبة على ما يليق بذينك البيتين الكريمين غير ان الخطبة عُقدت بدون ان يرى العروسان بعضهما بعضاً . وقد حُدّد يوم الزفاف واستُقدم الكنت فون ألتنبرج الشاب من الجيش لذلك الغرض ووردت منهُ رسائل عديدة تنبئ بوصولهِ الى بلدة ورتزبرج ويذكر فيها اليوم والساعة اللذين ينتظر قدومهُ فيهما . فكان القصر في حركة

واستعدادٍ عظيم لاستقبال الكنت استقبالاً باهرًا بالغًا حد النهاية من الابهة والجلال اللائق بمقامهِ السامي . اما العروس فقد زينت زينة فاخرة فوق ما هي عليهِ من الجمال الباهر وقد تولت عمتاها اعداد ما يلزمها من الحلى والحلل وتخير انواع الجواهر وضروب المصوغات حتى جاءت زينتها فائقة الوصف لم ترَ العين اجمل منها

ولم يكن البارون بأقل اهتمامًا من بقية اهل البيت وعلى الحقيقة انهُ لم يكن لديهِ شيء يفعلهُ غير انهُ كان بالطبع سريع التأثر محبًا للحركة فلا طاقة لهُ على السكوت اذا كان جميع الناس في شغل . فكان يتفقد جميع انحاء القصر وعلى وجههِ سمات الضجر والقلق فيدعو اليهِ الخدم في اثناء العمل ليحثهم على الاسراع وكان صوتهُ يدوي في جميع الغرف والردهات كالنحلة الزرقاء في يوم قيظ لا يقرّ لها قرار ولا يسكن لها طنين

و بينما هم في انتظار الخطيب ذُبحت الذبائح وطاف الصياديون في الغابات لصيد ما عز وطاب فضاق المطبخ على رحبهِ بأنواع المأكولات الشهية . اما عن الخمور المعتقة والمشروبات الفاخرة على اختلاف انواعها فحدث ولا حرج فقد أُعدكل شيء لاستقبال الضيف الكريم بما جبل عليهِ اشراف جرمانيا من كرم الطباع . ولكن الضيف ابطأ في الحضور فمرت الساعات تباعًا ومالت اشعة الشمس التي كانت ناشرة رداءها الذهبي فوق الغابات والغياض حتى توارت اخيرًا وراء قمم الجبال . فحار البارون في امرهِ وصعد الى اعلى برج في قصرهِ وحدّق بنظرهِ في الفضاء لعلهُ يرى الكنت قادمًا عن بُعد هو واتباعهُ . وكان نور الشفق على وشك الزوال وقد بدأت طيور الليل سيرها المعتاد ثم خيم الغسق وكادت الطريق تختفي عن الابصار ولم يعد يرى فيها شبحًا يتحرك سوى البعض من الفلاحين راجعين الى منازلهم للراحة بعد عناء الاعمال

و بينما كان الاضطراب والقلق مستولبين على اهل القصر اذ جرت واقعة ذات بال في جهةٍ اخرى من تلك الجبال . وذلك ان الكنت فون ألتنبرج وهو الخطيب الشاب كان قادمًا نحو خطيبتهِ آمنًا مطمئنًا يسير على مهل كرجلٍ وجد

من الانسبآء مَن اخذوا على عاتقهم مهمة انتقآء الزوجة وعقد الخطبة فكان واثقاً ان خطيبتهُ بانتظارهِ كما يثق المرء من طعام يجدهُ عند رجوعهِ الى منزلهِ بعد سفرٍ طويل . فصادف في طريقهِ الى بلدة ورتزبرج شابًّا من رفقآئهِ في الحرب اسمهُ هرمن فون ستاركنفوست وكان راجعاً من ساحة الوغى بعد ان خاض غمارها وقصر ابيهِ لا يبعد كثيرًا عن قصر البارون غير ان المخاصمات القديمة التي كانت بين اسرتهِ واسرة البارون قطعت اوصال كل رابطةٍ بين الاسرتين فعاشت كل واحدة منهما بمعزل عن الاخرى

فلما اتصلتِ المعرفة بين هذين الشابين اخذ كلٌّ منهما يقصّ على صاحبهِ ما حدث لهُ من الاهوال والمخاطر وما صادفهُ من الشدة والرخآء فقص الكنت على رفيقهِ جميع تفاصيل زواجهِ الغريب وخطبتهِ لفتاةٍ غضة الشباب لم يكن قد رآها بعد بل سمع بأوصافها التي يصاغ فيها من المديح قصائد . ولما كانت وجهة هذين الفارسين واحدة اتفقا على ان يسيرا معاً بقية سفرهما فغادرا مدينة ورتزبرج مبكرين حتى لا يضطرّا الى الاسراع في الطريق واصدر الكنت اوامرهُ الى اتباعهِ ان يأتوا بعدهُ ثم يلحقوهُ. فكانا يقطعان طريقهما في سرد اعمالهما الحربيـة وما شاهداهُ من المواقع وحدث لهما من النوادر . وما زالا يتجاذبان اطراف الحديث وينتقلان فيهِ من قديم الى حديث حتى توغلا في جبـال اودنولد وعبرا طريقاً منفردة وسط اشجار غابة كثيفة . ومن المعلوم ان غابات جرمانيا كانت ملأى باللصوص وقطاع الطرق كما كانت قصورها مسكونة بالخيالات والجن . وكان اللصوص في ذلك الحين منتشرين في طول البلاد وعرضها يعيثون فيهـا فسادًا فلا غروَ اذا فاجأ هذين الفارسين في وسط تلك الغابة الملتفة جماعة من اولئك القوم اللئام . فدافعا عن انفسهما دفاع الابطال حتى خارت قواهما واذ ذاك وصلت حاشية الكنت فلاذ اللصوص بالفرار ولكن بعد ان جرحوا الكنت جرحاً مميتاً . فحملوهُ على الاكتاف والاعناق قافلين الى مدينة ورتزبرج واستدعوا لهُ في الحال راهباً من احد الاديار القريبة من المشهود لهم بالبراعة في تطبيب الروح والجسد معاً . ولكن ذلك الراهب لم يحتج معهُ الا الى

احد شطري براعتهِ فان ساعات الكنت كانت معدودة . ولما شعر بدنو اجلهِ دعا اليهِ صديقهُ وتوسل اليهِ ان يذهب في الحال الى قصر لندشورت ويقص عليهم واقعة الحال ويبلغهم سلامهُ واعتذارهُ . فأخذ صديقهُ يطيب خاطرهُ بعذب الكلام ويحيي في فؤادهِ ميت الآمال ووعدهُ وعدًا صادقًا ان يعمل بما اوصاهُ بهِ واعطاهُ يدهُ ميثاقًا على ذلك فضمها الكنت وهو في حالة النزع دليلاً على شكرهِ لهُ ثم ما عتم ان انتابتهُ نوبة الهذيان فجعل يهذي بذكر حبيبته وبوعودهِ وعهودهِ وهمَّ بطلب جوادهِ ليمتطيهُ ويذهب في الحال الى قصر لندشورت ولكن خانتهُ قواهُ وهو يحاول في الحلم تسنم السرج وفاضت روحهُ الى خالقها

فتنهد الرفيق الصديق عن احرَّ من الجمر وبكى بكاء الشجعان على حظ ذلك الكنت التعِس الذي قصفت المنية غصن شبابهِ الرطيب وحرمتهُ سعادة الحياة . ثم اخذ يفكر في تلك المهمة المشؤومة التي اخذ على عهدتهِ القيام بها فضاق صدرهُ وضاع رشدهُ لانهُ مضطرٌّ ان يذهب بنفسهِ ضيفًا ثقيلاً بين قوم معادين ويلقي على مسامعهم ذلك النبأ السيء فيبدل افراحهم اتراحًا ونعيمهم بؤسًا

ولنرجع الى حديث تلك الاسرة القديمة اسرة العروس التي كانت تنتظر على مثل الشوك قدوم ضيوفها الكرام للجلوس على تلك الموائد الفاخرة التي كانت أُعدت لذلك الاحتفال ونشاهد البارون الفاضل الذي تركناهُ يرصد من اعلى البرج قدوم ضيوفهِ . فلما سدل الليل جلبابهُ ولم يطرق الباب طارق هرول نازلاً من مرصدهِ وسمات الكآبة واليأس بادية على محياهُ . ولم يعد في الامكان تأخير الوليمة اذ مضى على الميعاد المضروب بدل الساعة ساعات فكانت اللحوم قد بلغت اقصى درجات النضج والطهاة قد عيل صبرهم وخلاصة القول ان جميع من في القصر كانوا اشبه بجرس اضناهُ الجوع واستولى عليهِ الضجر والقنوط . فاضطر البارون اخيرًا بالرغم عنهُ ان يأمر بمدّ الموائد ولو لم يحضر الضيوف فجلس الجميع للطعام . وبينما هم على وشك الشروع في الاكل اذ سُمع صوت بوق من خارج الباب الكبير مؤذنًا بقدوم غريب وتبع ذلك نفخة بوق ثانية ملأت الاسماع ودوى صداها في جميع انحاء

القصر . فاسرع الحارس بالجواب من اعلى الاسوار وللحال هرع البارون لاستقبال خطيب ابنتهِ . فوصل الغريب الى الدار وكان فارساً جميلاً طويل القامة ممتطياً جوادًا اسود غير انهُ كان ممتقع اللون مع حدة في النظر ذات معنى خفي ودلائل السآمة والكآبة ظاهرة عليهِ كمن يفكر في امر ذي بال . فاستآء البارون اذ رآهُ في ذلك الزيّ البسيط وليس معهُ حاشية ولا خدم وتبادر الى وهمهِ ان الفارس يسخر بهِ وبالاسرة المجيدة التي جآء يخطب ودها وقرابتها اذ لم يراعِ المقام ولم يحفل بالعرس . غير انهُ عاد فلام نفسهُ على ذلك الظن وحمل هذا الصنيع من الفارس على نزق الشباب وعظيم شوقهِ الى رؤية من يهواها فتقدم عن اتباعهِ واقبل منفردًا

وبينما كان البارون يفكر في ذلك خاطبهُ الفارس قائلاً انهُ ليسوءني ان احضر في وقت غير ملائم كهذا . فقاطعهُ البارون بعبارات التشكر ورحب بهِ احسن ترحيب اذ كان على الحقيقة ذا ادبٍ وظرف مع فصاحة لسان يفتخر بها على الدوام. فحاول الغريب مرارًا ان يستوقف سيل حديثهِ المنهمر ليبلّغهُ رسالتهُ ولكن على غير جدوى فاضطرّ اخيرًا ان يطرق برأسهِ ولا يعارض التيار في سيرهِ . ولما وقف البارون عن الكلام هنيهةً ليستريح وكانا قد وصلا الى داخل القصر اراد الغريب ان ينطق بما يكنهُ ضميرهُ ولكنهُ ما لبث ان عاد الى السكوت عند ما رأى ربات المنزل قادمات اليهِ وبصحبتهنَّ العروس وهي تضطرب وقد صبغ الحيآء وجنتيها فحدّق بنظرهِ اليها وهي تميس كغصن البان فبهت لجمالها الفتان واحس في الحال بان تلك الغادة الحسنآء قد ملكت لبهُ وسبت فؤادهُ . ثم التفتت احدى عمتيها نحوها وأسرّت كلمات في اذنها فاجهدت نفسها للكلام ورفعت طرفاً ذابلاً ملؤهُ الحيآء ووجهتهُ بخجل نحو ذلك الغريب لتفحصهُ ثم اطرقت الى الارض ولم تستطع ان تفوه ببنت شفة ولكن ثغرها العذب افترّ عن ابتسامةٍ كانت من الشهود العدول بانها سرت لرؤية ذلك الشاب ومال فؤادها اليهِ . وكان قد مضى الهزيع الاول من الليل فلم يكن ثمّ مجال للحديث فتقدم البارون وطلب ارجآء ذلك الى الغد ودعا الجمع الى الوليمة التي لم تكن مُدّت اليها يدٌ بعد وقد أُعدت في ردهة القصر

الكبرى وكانت صور ابطال ذلك البيت الكريم معلقة على الجدران وبجانبها شعارات غزوهم في الحرب والصيد . اما الفارس فانهُ لم يحفل كثيرًا بمضيفيهِ ولم يشاركهم في فرحهم وقلما ذاق شيئًا من الطعام بل كانت كل افكارهِ متجهة نحو محبوبتهِ البديعة وكان يظهر لها من الانعطاف الممزوج بالوقار واللين المقرون بعزة النفس ما أسر فؤادها وملك قيادها . فكانت وجنتاها يعلوهما الاحمرار تارةً وطورًا وهي تصغي اليهِ بكل انتباه وتجاوب احيانًا على اسئلتهِ مع الخجل الزائد . واستمر القوم في جذل وضجيج ما عليهما من مزيد لان ضيوفنا الكرام كانوا من ذوي النهم الشديد الذي يصيب فارغي الجيوب وساكني الجبال ولم يذخر البارون شيئًا من القصص الفكاهية والنوادر الغريبة الا رواهُ واطال في شرحهِ . وكانوا اذا حدثهم بشيء عجيب اعترتهم الدهشة والاستغراب واذا جاءهم بملحةٍ مضحكة استغرقوا في الضحك. وظل الجميع في فرح ومرح الا الغريب فان ثغرهُ لم يفترّ عن ابتسامةٍ واحدة بل كان يزداد عبوسًا وانقباضًا وقد ظهرت عليهِ دلائل الضجر والملل التي كانت تزداد وضوحًا بمرور الساعات وكلما كان البارون يسترسل في المزح كان هو يتمادى في الكآبة والقلق غارقًا في بحار الافكار وبعد ان كان يحادث العروس بانشراح صدر اصبح كلامهُ معها جافيًا فقطبت للحال حاجبيها وسرت في ذلك الجسم اللطيف رعشة لم تخفَ عن اعين الحاضرين فسكن جأش سرورهم اذ لم يفقهوا معنى او يجدوا سببًا لذلك الانقلاب الغريب . وروى البارون حكايات مختلفة منها حكاية الفارس الشيطان الذي اختطف ليونورا الجميلة وهي قصة فظيعة ولكنها حقيقية قد نظمت من ذلك الوقت شعرًا فيقرأها الناس اجمع لطلاوة شعرها ويصدقون كل ما جاء فيها

وكان الغريب يصغي لتلك الحكاية شاخصًا بنظرهِ الى البارون ولما انتهت القصة نهض من مكانهِ وتنفس الصعداء ثم ودع الحضور وهمّ بالخروج . فذهلوا لذلك المنظر وكأن صاعقة انقضّت على البارون فصاح قائلاً ما هذا وما الذي ارى أيريد ان يغادر القصر وقد تناصف الليل وكل شيء مهيأ لاستقبالهِ على الرحب والسعة . فهزّ الغريب رأسهُ بحزن وسكون ثم حيّا الجمع يمينًا وشمالاً وخرج فسار البارون

ورآءهُ حتى اوصلهُ الى ساحة القصر الخارجية حيث كان جوادهُ. بانتظارهِ ولما قربا من الباب الخارجي وقف الغريب وخاطب البارون بصوتٍ عميقٍ جعلتهُ وحدة ذلك المكان اشبه بصوتٍ خارجٍ من القبور وقال لهُ نحن الآن وحدنا لا ثالث معنا فاريد ان اوضح لك سبب ذهابي فاعلم انني وعدت وعدًا صادقًا وانا لست ممن يخلفون وعدهم و .... فاجابهُ البارون للفور ولكن الا تقدر ان ترسل مَن يقوم مقامك . فقال الغريب ان الامر لا يحتمل الانابة بل يجب ان اذهب بنفسي الى كنيسة ورتزبرج الكبرى . فقال ولكن الا تنتظر الى الغد فتذهب الى الكنيسة بعروسك . فقال الغريب لا لا ان وعدي ليس مع عروس تصحبني بل النعش ينتظرني وحدي فانا رجل ميت وقد قُتلت بخناجر اللصوص وجثتي الآن موجودة في ورتزبرج وموعد دفني في نصف الليل تمامًا . ثم وثب فوق ظهر جوادهِ وما عتم ان غاب عن الابصار . فرجع البارون الى ردهة الاجتماع وقد طار فؤادهُ شعاعًا ثم قص ما رأى بعينيهِ وسمع باذنيهِ واذ ذاك أُغمي على سيدتين وفزع الباقون فزعًا شديدًا عند ما علموا انهم نادموا خيال رجل من عالم الاموات وكثرت بينهم التأولات والظنون وجعلوا يخوضون فيما يكون وما لا يكون

ولما كان الغد وردت على البارون الرسائل من ورتزبرج تثبت قتل الكونت الشاب والاحتفال بدفنهِ في كنيسة المدينة فعم حينئذٍ الحزن جميع سكان القصر وكبر عليهم الخطب . اما البارون فانهُ اعتزل في غرفتهِ الخصوصية ولم يقابل احدًا او يقبل عزآء واما العروس التي قضى عليها نكد الطالع ان تترمل في ابان شبابها فكانت في حالة يرثى لها من الغم والكدر وقد ملأت القصر بنواحها ونحيبها ولم يبقَ احد الا ورثى لحالها ورقّ لمصابها

وفي مسآء اليوم التالي لترملها احتجبت في مقصورتها ولم تسمح لاحد بالبقآء معها سوى احدى عمتيها التي الحت ان تنام معها . وكانت تلك العمة من اشهر قصاصي حكايات الجن في جرمانيا فاخذت تقص عليها قصةً من اطول قصصها الا انها لم تكد تصل الى نصفها حتى غلب عليها النعاس فنامت . وكانت غرفتها بمعزل عن

بقية الغرف وهي تشرف على حديقة صغيرة فاتكأت الفتاة الحزينة على مسند لها واطلقت لافكارها العنان وهي تنظر الى ضوء القمر المشرق على الاشجار وقد دقت ساعة القصر معلنة ان قد تناصف الليل . وحينئذٍ سُمع صوت نغم موسيقي آتٍ من الحديقة فنهضت في الحال ومشت نحو النافذة بخفة ورشاقة ولما اطلت منها رأت شبحًا طويلاً واقفًا بين ظلال الاشجار فلما رفع رأسهُ اضآء نور القمر محياهُ فاذا هو خيال خطيبها . وفي الوقت نفسهِ قرع اذنها صرخةٌ هائلة وهي صرخة عمتها فانها كانت قد استيقظت على صوت الموسيقى وتمشت نحو النافذة فلما رأت الشبح صرخت وسقطت بين يديها . ولما نظرت ثانيةً الى الحديقة كان قد غاب الشبح

ولما افاقت العمة من ذهولها اقسمت ان لا تنام مرة اخرى في تلك الغرفة واما الفتاة فصممت كل التصميم ان لا تنام في غير تلك الغرفة من القصر فكانت بعد ذلك تنام فيها وحدها لكنها اخذت على عمتها عهدًا ان لا تذكر قصة الخيال لاحد لئلا تحرم ايضًا تلك اللذة المحزنة التي بقيت لها في الحياة الدنيا ألا وهي اقامتها في الغرفة التي يطوف حولها خيال حبيبها في الليل ساهرًا عليها كملكها الحارس

ومع ولوع تلك العمة باخبار الغرائب فانها خالفت سنة النسآء وكتمت امر تلك الحادثة اسبوعًا كاملاً كما يذكر ذلك جيرانها الى الآن حتى حدث ما جعلها بغتةً في حلّ من وعدها واباح لها افشآء ما كان يكنهُ ضميرها . وذلك أن داهم سكان القصر وهم يتناولون طعام الصباح خبر اختفآء الشابة الحسنآء فانها لم توجد كالعادة في غرفتها ولم تنم في فراشها بل كانت النافذة مفتوحة والطائر خارج القفص

وهنا يعجز القلم عن وصف ما اصاب القوم من الدهش عند ما بلغهم ذلك الخبر المشؤوم وفيما هم على هذه الحالة وهم مبهوتون من الحزن والغم اذ ضمت العمة يديها كمن يستغيث وقد كان المصاب ألجم لسانها ثم صرخت قائلةً الجنّ . الجنّ . ان الجن قد اختطفتها . ثم قصت بعبارة وجيزة حادثة الحديقة المخيفة واستنتجت من ذلك ان الخيال لا بد ان يكون قد اختطف عروسهُ . وعضدها في زعمها هذا اثنان من الخدم حققا انهما سمعا وقع حوافر جوادٍ نازل من الجبل في منتصف الليل

ولا شك عندهما ان ذلك كان الخيال بعينهِ وانهُ اختطف سيدتهم ليذهب بها الى القبر . فمال اغلب الحاضرين الى تصديق تلك الاقاويل لتعدد الحوادث التي من هـذا القبيل في بلاد الالمان فيصدقها الناس كما يصدقون الحوادث التاريخية ذات الشهود العدول

اما عن حزن البارون وغمهِ فلا تسل فانهُ قد ايقن ان ابنتهُ الوحيدة فلذة كبدهِ وحشاشة قلبهِ لا بد ان يكون قد اصابها احد خطبين فاما انها اصبحت من سكان القبور او انهُ صاهر احد الجن من سكان الغابات وربما اصبح جدًّا لزمرةٍ من صغار العفاريت . ففزع لهـذا الفكر فزعاً شديداً كما هي عادتهُ وامر رجالهُ ان يمتطوا خيولهم في الحال ويفتشوا في جميع الطرق والمفارق وبطون الاودية لعلهم يقفون على اثر سيدتهم . ولم يطق هو نفسهُ الانتظار فاحتذى حذآءهُ الطويل وتقلد سيفهُ البتار وتحفز لركوب جوادهِ المطهم للبحث عن ضالتهِ المنشودة ودرّتهِ المفقودة واذا بشبح قادم عن بعد استوقف بصرهُ واضطرّهُ للانتظار قليلاً . ولم تكن الا طرفة عين حتى ظهرت سيدة راكبة فرساً جميلاً وبجانبها فارس على صهوة جوادهِ وهما يقصدان القصر . اما السيدة فانها اخذت تعدو عدوًا حثيثاً نحو الباب الكبير حيث كان البارون واقفاً حتى اذا وصلتهُ ترجلت في الحال ثم انطرحت على قدميهِ وقبلت ركبتيهِ فاذا هي ابنتهُ المفقودة ورفيقها « الزوج الخيالي ».فاعترت البارون الدهشة وتلعثم لسانهُ وكان ينظر تارةً الى ابنتهِ وطورًا الى الخيال وظن نفسهُ في اضغاث احلام . وقد ظهر الخيال في عينيهِ هذه المرة احسن هنداماً والطف منظرًا من قبل فان لباسهُ كان فاخرًا ولم يكن في وجههِ اثر لذلك الاصفرار او لتلك الكآبة التي كانت تلوح في السابق عليهِ بل كان جمال طلعتهِ يمثل شباباً غضاً وعيناهُ السوداوان الواسعتان تنبعث منهما اشعة الفرح والسرور

ولم يبقَ حين ذاك محل للكتمان فان الفارس الذي لم يكن في الحقيقة جنياً كما ظهر من سياق الحديث عرَّف البارون بانهُ السر هرمن فون ستار كنفوست ثم قص ما اتفق لهُ مع ذلك الكنت الشاب الذي اغتالتهُ ايدي اللصوص الاثيمة وكيف

اسرع الى القصر ليخبر بواقعة الحال ويعلن النبأ المشؤوم الا ان فصاحة البارون وطلاقة لسانهِ منعتاهُ عن سرد حكايتهِ . وكيف اسرت العروس فؤادهُ وملكت حواسهُ حتى لم يعد ينتبه الى مجاملة اهل القصر . ثم كيف حار في امرهِ لما اراد الانصراف ولم يدرِ كيف يسوغ لهُ ان يترك ذلك المحفل الحافل واي الاعذار يبدي كي لا يخل بآداب السلوك حتى انتشلهُ البارون نفسهُ من تلك الورطة بما قصهُ عليهِ من حوادث الجن والعفاريت فهي التي اوحت اليهِ سبيل الانسحاب على تلك الصورة الغريبة . ثم انهُ خوفاً من التعرض لغضب اسرة البارون وانتقامها كان يزور القصر خلسةً ويتردد على الحديقة التي تشرف عليها نافذة الغادة الحسناء تحت جنح الظلام حتى استمالها وفاز برضاها وفرّ بها على اجنحة الفوز هارباً ثم عقد عليها واصبحت حليلتهُ

ولو اتفق للبارون ذلك في احوال غير هذه لما قبل شفاعةً لانهُ كان صعب المراس غيورًا على سلطتهِ الابوية شديد التمسك بامر الضغائن القديمة ولكنهُ فوق ذلك كلهِ كان يحب ابنتهُ حباً شديدًا وقد انتحب لفقدها فسرّ لرؤيتها حيةً وحمد الله على ان زوجها لم يكن من طائفة الجنّ ولو كان من اسرةٍ معادية لأسرتهِ

ولما انجلت تلك الوساوس ولم يبقَ ما يوجب الابتئاس صفح البارون عن الزوجين الشابين لساعتهِ واعيدت مجالي الانس في القصر وطفق اقارب البارون يجلّون ويكرمون ذلك العضو الجديد في العشيرة ويكثرون من التودد اليهِ والاعجاب بهِ لانهُ كان معدن ظرف وادب كريم الطباع واسع الثروة . ولم يشقّ ذلك الحادث الاّ على احدى عمتي العروس لضياع قصتها الغريبة ولا سيما وان ذلك الخيال كان الخيال الوحيد الذي رأتهُ في حياتها وقد تبين لها انهُ لم يكن خيالاً حقيقيًّا . اما العروس فسرَّت سرورًا عظيماً اذ وجدتهُ كان انسانًا لا خيالاً وقد شفع عندها آخر ذلك الحادث في اولهِ وانستها حلاوة العاقبة ما لقيتهُ من المرارة السابقة